بمناسبة مرور اربعين عاماً على انتهاء الحرب العالمية الثانية

مصرع الطاغية موسوليني

ترجمة : [1] موسى عبدالصمد سعدالله

لم يمر وقت طويل على وصول موسوليني الى بريفيكجر PREFECTURE في كومو حتى أرسل رسالة الى دونا روشيل التي كانت قد ذهبت الى فيلا مونتيرو . كان موسوليني محاطاً بالانصار . قال لزوجته في رسالته انه في المراحل الاخيرة من حياته انها الصفحة الاخيرة من كتابي . وطلب منها المغفرة والسماح لكل ما سببه لها من أذى دون قصد . وتوسل اليها ان تأخذ طفليهما : انا ماريا وورومانو الى سويسرا حيث يمكن لها ان تبدأ حياة جديدة . كانت دونا روشيل على وشك الانتهاء من قراءة رسالة زوجها اذ بدأ الهاتف يرن . كان موسوليني على الخط وهو يحاول طول النهار الاتصال بها دون جدوى . قال لها انا سائر الى مصيري وانا وحيد يا راشيل وانا متأكد من انها النهاية . وبعد مكالمة قصيرة مع الطفلين طلب منها ان تأتي الى كومو لتراه للمرة الاخيرة . وفي ساحة بريفيكجر وفي ساعة الوداع اودعها موسوليني رزمة من الاوراق بضمنها رسائل من تشرشل اذ كان يعتقد انها قد تساعدها في اجتياز الحدود . قال لها اذا ما حاولوا ايذاءك او ايقافك فأطلبي ان يسلموك الى البريطانيين .

وقبيل الفجر صبيحة ٢٦ نيسان كان موسوليني مع جماعة صغيرة يسيرون بمحاذاة الساحل الغربي المتعرج من بحيرة كومو . وعلى الرغم من الرذاذ النازل كان المنظر بهيجاً ، ولقد توقف في مينا كوا في فيلا تبعد عن كومو خمسة وعشرين ميلاً كانت لأحد الموظفين الفاشيست المحليين . وقال انه ينتظر وزراءه وثلاثة آلاف من ذوي القمصان السود . اذ وعد اليسندرو باڤوليني سكرتير الحزب الفاشي الجديد احضارهم . وبينما كان موسوليني ناعماً التحق به بقية مرافقيه ومن ضمنهم كلاريتا بيتاس تخفرهم سيارتان مدرعتان وعدد من جنود الجمهورية . وعندما استيقظ موسوليني شاهد رتلاً طويلاً من السيارات واقفاً على الطريق الرئيسي . وكان انتظارهم القمصان السود بهذا الوضع محفوفاً بالمخاطر . فطلب منهم جميعاً ان يعرجوا على طريق جانبي . بعدئذ صعد مع كلاريتا الى سيارة واختار طريقاً جبلياً ضيقاً متجهاً الغرب نحو سويسرا بخفارة ملازم الصاعقة بيرزر BIRZER . تتبعها بقية القافلة .

وفي مقر صغير في كراندولا نزل موسوليني وجماعته في فندق ميراثال وتزاحموا على المذياع واجمين الذي كان يذيع الانتصارات المتلاحقة للحلفاء وتقدم كلارك والانتفاضة العامة للأنصار في الشمال .

في هذه الاثناء تقدمت فتاة جميلة اسمها الينا كورتي كوسياتي الى موسوليني قائلة انها تتطوع للذهاب بالدراجة الى كومو لترى سبب تأخير باڤوليني مع ثلاثة آلاف من ذوي القمصان السود . وعندما التقتهما كلاريتا في الحديقة بدأت تصيح بشكل هستيري ولما حاول موسوليني تهدئتها تعثرت ووقعت وهي تنتحب بحرقة .

وبعد الظهر هرب ثلاثة من الموظفين دون ان يودعوا موسوليني وتوجهوا نحو حدود سويسرا على بضعة أميال الى الغرب . وبينما كان الآخرون يفكرون بالهرب ايضاً رجع احد الثلاثة من الهاربين ومعه اخبار مثبطة للعزيمة وهي ان الانصار القوا القبض على رفيقيه قرب الحدود . وعند حلول الظلام قال موسوليني لبيرزر وقد نفد صبره انه سيتحرك حالاً الى فالتلينا دون انتظار بافيلوني وجماعته من ذوي القمصان السود اذ سيلتحقون به هناك . حذره بيرزر من ان الانصار لابد من انهم وضعوا الحواجز على الطرقات وفوق ذلك ان رجاله بحاجة لراحة ليلة قبل محاولتهم صعود الطريق الجبلي امام البحيرة . اقتنع موسوليني ووعد البقاء في الفندق حتى بزوغ الفجر .

وفي الصباح الباكر نزل ثمانية من الانصار من الجبل للقيام بالدورية من الساحل الغربي من بحيرة كومو الى دوماسو . المدينة الواقعة قرب نهاية البحيرة الشمالي وكان قائدهم كونت بيير لويكي بيليني ديل ستيل COUNT PIER LUIGI BELLINI DELLE STELLE وهو رجل طلع المحيا يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً خريج جامعة فلورنسا وكان والده عقيداً في الخيالة . القى القبض عليه من قبل الالمان سنة ١٩٤٤ ومات في السجن بسبب سوء معاملته .

كان الشيوعيون مسيطرين على الانصار حول كومو . الا ان بيليني ومعاونه اورباتو لازارو لم يكونا عضوين في الحزب الشيوعي بل على العكس كانا يعارضان الشيوعية كغيرهما من مثيلاتها من الجماعات التي تسيطر عليها الشيوعية . وكان همهما محاربة الالمان والفاشية والمساهمة لاعادة السلام الى ايطاليا .

نزلت دورية بيليني الى المدينة لشراء التبغ الا ان الجماهير احاطت بهم وهتفوا لهم هتاف الانتصار قائلين ان الحرب قد انتهت . ذهب بيليني الى حانوت للمرطبات وسمع المذياع يعلن ان الحلفاء عبروا نهر البو وان الالمان يتقهقرون وان الحلفاء وصلوا الى بريسيا وهم يحيطون بميلانو وان الانتفاضة بدأت في ميلانو وان وحدات من الانصار احتلت جميع المراكز الحيوية في المدينة

وكذلك معظم الحاميات ، جماهير المدينة متحمسة ارادت الالتحاق ببيليني الذي كان معه عشرون من الرفاق فوق التلول . وهؤلاء طلبوا منه ان يستولي على منطقة دوماسو بأكملها . الا ان اسلحته لم تكن تكفي الاّ خمسين رجلاً وكان في المنطقة مئتان من الاعداء مسلحين تسليحاً جيداً . وعلى الرغم من ذلك قرر بيليني ان يتحرك فكتب رسالة الى آمر الحامية القريبة في كرافيدونة وهو فاشي يطلب منه ان يستسلم قبل الساعة التاسعة مساءً وطلب من فتاة ان تركب دراجتها وتسلم هذا الانذار النهائي على الطريق الرئيسي من البحيرة الى اول جندي تلقاه . في حين ارسلت رسائل مماثلة الى الحاميات الفاشستية والالمانية الاخرى .

وصلت اولى الانباء السارة بعد الظهر ان حامية بونت ديل باسو PONTE DEL PASSO قد استسلمت وبعد ذلك بمدة قليلة علم بيليني ان الالمان في نوفا اولونيا قرب الجسر الستراتيجي في النهاية الشمالية من البحيرة يطلقون النار على كل من يتجاسر ويقترب منهم . الا انه على الرغم من ذلك اصطحب معاونه غير هياب ولا وجل وذهب لمحاورة الالمان قائلاً لهم انه قائد الانصار في المنطقة وانه سيمزقهم ارباً بمدافع الهاون ان لم يستسلموا فما كان من قائدهم الا ان يسلم مسدسه خانعاً .

عند اوبته الى دوماسو وجد بيليني ان جماعة من جماهير المدينة على وشك الاجهاز على مجموعة من السجناء الفاشست نهرهم قائلاً اننا الانصار لا نستطيع تحمل مسؤولية الجرائم التي ارتكبها الفاشيون والالمان : مقابلة الشر بالشر تضر بقضيتنا وتنزلنا الى مستوى اعدائنا نفسه .

وبحلول الليل سيطر بيليني على عشرة اميال من الطريق على البحيرة من الجسر في الشمال الى دونكو والى الجنوب من دونكو بحوالي نصف ميل وضع حاجزاً على الطريق من احجار كبيرة وجذع شجرة واسلاك شائكة وبذلك سيطر على الطريق سيطرة تامة . فمن الجهة الواحدة من الطريق الرئيس الضيق كان الوادي عميقاً ينحدر نحو البحيرة ومن الجهة الثانية ترتفع صخرة كبيرة

تحيط بها الاشجار وبعد ان انهكه حوادث النهار ذهب الى الفراش .

وصل باڤوليني الى فندق ميرافال في سيارة مصفحة وكان المطر لايزال يتقطر من وجهه عندما قال لموسوليني ان معظم رجال القمصان السود في كومو قد استسلموا للأنصار . وعندما سأله الدوتش كم من الرجال جلبت معك ليحاربوا في فالتلينا ؟ تردد بافوليني قبل ان يقول اثنى عشر (١٢)

وعند الفجر التحق موسوليني ومن بقى معه من اتباعه بقافلة المانية قوامها ثمانية وعشرون شاحنة متجهة نحو الطريق الساحل للبحيرة وكان يجلس في السيارة المصفحة باڤوليني وعدد من موظفي الحكومة وبحوزتهم اوراق ونقود في حقيبتين جلديتين . وبالقرب من نهاية القافلة كانت كلاريتا في سيارة صفراء مع جواز سفر اسباني ومعها اخوها وعائلته .

وكان موسوليني وحده في سيارته ALFA ROMEO . وفي ضواحي مينا كيو استوقف احد المارة وسأله اذا كان احد من الانصار في المنطقة ؟ وكان الجواب انهم في كل مكان . اوقف موسوليني سيارته وذهب الى السيارة المصفحة وقفز الى داخلها وكانت الساعة تشير الى السادسة والنصف عندما اجتازت القافلة مدينة (موسو) MUSSO والتي تبعد ميلاً واحداً عن دونكو DONGO وبعد نصف ميل وجدوا جذع شجرة كبيرة تقطع الطريق واسلاك شائكة انها كانت حواجز بيليني .

اطلق الانصار من بنادقهم سريعة الطلقات صليةً الى الفضاء تحذيراً ردت السيارة المصفحة على النار بالمثل وقتلت عاملاً مسناً كان سائراً في الطريق نحو دونكو الا ان علماً ابيض رُفع من احدى سيارات القافلة مما ادى الى توقف اطلاق النار . خرج رجلان من الانصار خلف الحاجز وقابلا ضابطاً المانياً الذي طلب ان يقابل رئيسهم .

اوقظ بيليني من نومه في دوماسو وقيل له ان قافلة المانية تتقدم نحو دونكو . أمر بيليني مسؤول الحاجز بايقاف القافلة والا يسمح بتحرك احد مهما حدث . كما وارسل بيليني اثنين من رجاله طالباً النجدة وتوجه مع معاونه لازارو بأقصى سرعة الى دونكو وفي الطريق اعطى التعليمات بوضع جميع القوات في النقاط الحساسة على الصخرة الكبيرة المشرفة على الحاجز المنصوب على الطريق بينما يحاول هو التفاوض . نزل الى الشارع وخلال بضع دقائق قابل ثلاثة ضباط واقفين حول السيارة المصفحة .

قدم القائد الالماني نفسه بلغة ايطالية سليمة انه النقيب اوتو كيسنات OTTO KISNAT وعندي اوامر بنقل رجالي الى ميراتو قرب الحدود النمساوية ومن هناك سنذهب الى المانيا لمحاربة الحلفاء وليست لدينا اية نية لمحاربة الايطاليين .

اجابه بيليني وبالمثل ان لي اوامر بمنع اية قافلة مسلحة بالمرور . ولم يكن له امر من هذا النوع قال ذلك ليؤثر في الالمان لذلك اطلب منكم ان تستسلموا وانا اتعهد بالمحافظة على سلامتك وسلامة رجالك .

حاول كيسنات ان يخدعه فقال ان قيادتنا العليا وقيادتكم وصلتا الى اتفاق مؤادها الاّ نهاجم الانصار والانصار يسمحون لنا بالمرور بسلام . كان الجواب ليست لدى اوامر من هذا النوع . اننا اتينا من ميلانو الى هنا ولم تطلق رصاصة واحدة وهذا دليل على وجود اتفاق . ان وصولكم الى هنا يعني ببساطة انكم لم تأتوا عن طريق تواجد الانصار او ان الذين لقيتموهم لم يكونوا اقوياء بما فيه الكفاية لمهاجمتكم . واراد بيليني ان يخدع كيسنات فقال : اننا نسيطر على كل المنطقة ولنا قوة كافية وانكم محاطون بالاسلحة ذاتية الحركة (الاوتوماتيكية) استطيع ابادتكم خلال خمس عشرة دقيقة .

انتحى لازارو ببليني جانباً وانبأه : في القافلة ثمان وعشرون شاحنة ملآى بالجنود الالمان وسيارة مصفحة . سيارة القائد الالماني وعشر سيارات اخرى ملآى بالمدنيين وكل شاحنة اضاف لازارو تحتوي على رشاش ثقيل وبنادق آلية الحركة وعدة مدافع خفيفة ضد الجو . علم بليني ان ليس في مقدوره مجابهة هذه القوة ان حدث قتال . قرر بيليني ان يُلغم جسر ڤال اوربا VALL

ORBA على بعد عدة مئات من الياردات على الطريق نحو دونكو . ولكن القيام بهذا العمل يستغرق وقتاً . التفت بيليني الى الضباط الثلاثة قائلاً يجب اولاً ان نعرف اي رجال معكم وما اذا كان بينهم ايطاليون ؟ اعترف كيسنات ان هناك ايطاليين في السيارة المصفحة وقليل منهم في السيارات الخصوصية وانا لست مسؤولاً عنهم يهمني رجالي حسب . ماهو قرارك ؟

لقد قررنا الا نتحمل مسؤولية السماح لكم بالمرور دون اوامر . قيادتنا العامة تبعد من هنا ميلين او ثلاثة وسنذهب الى هناك لتلقي التعليمات . ومن المناسب ان يرافقنا احد منكم لمواجهة القيادة مباشرة . لم تكن لدى بيليني اية فكرة عن محل وجود قائد فرقته . كان همه منصباً على ابعاد كيسنات من جماعته اذ لا يستطيعون عمل شيء بدونه وعندما قال بليني ان ذلك يستغرق ساعة ونصف ساعة قال كيسنات انه وقت طويل ليس لدينا وقت نضيعه . قرر الموضوع هنا الآن ! مستحيل كان جواب بيليني الجاف لا استطيع ان اسمح لكم بالمرور . واخيراً وافق كيسنات مرافقته لمقر قيادته على ان يسافروا جميعاً بسيارة المانية .

همس بيليني في اذن لازارو ان يقوم باستعراض للقوة قائلاً على كل مسلح ان يخرج الى الطريق ويطلب من المدنيين ان يتقلدوا الشارات الحمر لكي يظهروا وكأنهم من الانصار .

وعندما دخل بيليني وكيسنات مدينة دونكو في سيارة المانية فاجأتهم حواجز بدائية من الصخور والناس متجمهرون ينظرون ريبة وعلى اذرعهم شارات حمر . وعلى الجسر في نهاية البحيرة طلب بيلين احد الانصار قائلاً أكلُ الرجال في مواقعهم هنا ؟ وهل الالغام جاهزة ؟ وقع الرجل في حيرة الى ان رأى بيليني يغمز له عندئذ قال كل شيء جاهز اخبرنا متى نشعل الفتائل !

استمر بيليني سائراً نحو الشمال وعندما نفد صبر كيسنات اوقف بيليني السيارة وادعى عليه ان يذهب لوحده لمقابلة قائده الاعلى . وسيرجع ومعه الاوامر . ومن ميوسو MUSSO ليس بعيداً عن الحاجز كان دون مينيتي DON MAINETTI وهو قس محلي ذاهباً الى بيته عندما ركض رجل ذو لحية نحوه قائلاً يجب ان اكلمكم ايها المحترم . انا اريد ان اسلم نفسي ولكن لا ارغب في ان يرافق اعتقالي اية جلبة سآتي الى بيتكم ويمكنكم ان تطلبوا احداً من الانصار لاسلم نفسي لهم . كان هذا الرجل نيكولا بومباسي NICOLA BOMBACCI . قبل ثلاثين سنة كان هو وموسوليني ثواراً اشتراكيين . واصبح هو أحد قادة الشيوعيين الايطاليين وكان صديقاً للنين . الا انه طرد من الحزب اما الآن فهو من اقرب مستشاري موسوليني ثم قال انا ضحية غبائي واضاف ان الدوتش ضمن القافلة قرب الحاجز . وبينما كانا يتحادثان اقترب منهم مدني آخر قائلاً انا رومايف احد وزراء الحكومة ومعي ابني اتركه لرعايتك اذ انني لا اعلم مصيري . وكان القس بسبيل ادخال الولد البالغ من العمر خمسة عشر عاماً الى بيته اذ سمع طرقاً على الباب ووجد جماعة يقولون اننا رجال ذوو شأن كان بينهم وزراء امثال مازاسوما وباولو زيزبينو وقال احدهم رجاء تكلم لصالحنا .

رجع بيليني وكايسنات الى نقطة الحاجز دون ان يكشف له عن الاوامر الخيالية التي قال انه ذاهب ليتلقاها من قائده الاعلى . كل التفت الى بيليني مترقباً . وبعد ان تيقن بيليني الآ مجال للمماطلة اكثر من هذا قال وهو يحدق في عيني كيسنات : ان قراراتنا هي :

اولاً : السماح بمرور السيارات الالمانية والجنود الالمان حسب . ولذلك فأن جميع الايطاليين وكذلك السيارات المدنية تسلم الينا .

ثانياً : جميع السيارات الالمانية يجب ان تتوقف في دانكو للتفتيش وكل المافي يجب ان يبرز هويته الشخصية .

ثالثاً : ويجب ان تتوقفوا ايضاً في بونت ديل باسو لاعطاء التعليمات الاخيرة للمرور .

تردد كيسنات ثم قال لا يستطيع ان يتنكر لحلفائه الايطاليين في ساعة الخطر . الا ان بيليني كان صلباً وعنيداً . ثم طلب الضابط الالماني مهلة نصف ساعة للتشاور مع زملائه الضباط

وافق بيليني بايماءة من رأسه وجلس على سور ثم اشعل سيجارته . في هذه الاثناء همس القس المار الذكر لبيليني تعال هنا . ما القضية ؟ ان موسوليني هنا لا تدعه يفلت . نحن متأكدون من وجوده هنا . كان امراً يصعب تصديقه ومع ذلك امر بيليني لازارو ان يدقق : تقدم لازارو نحو القافلة الا انه لم يأخذ الامر بجدية وهكذا لم يكمل التفتيش .

رجع كيسنات الى بيليني قائلاً انه يقبل الشروط في حالة الموافقة على شمول الامر السيارة المصفحة ايضاً . تقدم بيليني نحو الجماعة الواقفة قرب السيارة المصفحة التي كانت في منتصف الطريق سائلاً من المسؤول هنا ؟ تقدم رجل مدني كبير السن يحمل وساماً عسكرياً ذهباً الى الأمام (ويظهر انه اخرج لعجزه) وقال اسمي فرانسيسكو براسو . وانا معاون سكرتير مجلس الوزراء وقدم رجلين آخرين واقفين بجانبه العقيد كاساليبنوفو مساعد موسوليني العسكري ورجلاً من القمصان السود اسمه ايتيمبيركر UTIMPERGHER . رد بيليني هتافهم الفاشي بتحية عسكرية ثم سألهم ماذا تنوون ؟ اجاب مستغرباً ان نستمر مع القافلة الالمانية بالطبع . نصحه بيليني ان يستسلم الا انه اجاب كلا اننا سنستمر مهما كان الثمن وانا اكرر اننا قررنا ان نسير مع القافلة الالمانية .

وجهة نظر براسو الصلبة اثرت في بيليني ولكنه قال انه عقد اتفاقاً مع الالمان بتجزءة القافلة لا تخدعن نفسك وتظنن انهم سيجازفون بالدخول في معركة من اجلكم . لا يرغبون في ان يحاربوا بعد الآن . وهذا واضح . وحتى في هذه الحالة اننا مصممون على المرور . كرر بيليني ان ذلك خارج نطاق المسألة . الى اين انتم ذاهبون ؟ اجاب براسو باقتناع انك جندي ويظهر انك تتصرف كواحد منهم لذلك تفهم جندياً قديماً مثلي انني اقسمت لادافعن عن تريستا ضد تيتو . فاذا ما وصلنا هناك فأنا على يقين بأننا سيكون في مقدورنا تنظيم مقاومة وفي اقل تقدير سنحاول الاحتفاظ بذلك الجزء من بلادنا التي من اجلها اراق كثير من الايطاليين دماءهم .

استمع بيليني اليه بأدب ثم قال اذا سمحت لكم بالمرور فأن جماعة اخرى من الانصار توقفكم لا محالة وبالنسبة لمستقبل تريستا ان الحلفاء هم سيقررونه . اي نوع ايطالي انت ؟ اتمبير قال ذلك بصوت متهدج . هل نسيت ان اباءنا ماتوا من اجل تريستا ؟

اجابه بيليني بشدة فيما يتعلق بحب بلادي لا اريد ان اتعلم منك ومن امثالك الذين رحبوا بالغزاة الاجانب . نفيتم وذبحتم ابناء جلدتكم . اعتقد ان كل واحد قام بواجبه كما رآه قال ذلك براسو مقاطعاً وبلهجة تنم عن الترضية . وطلب مرة اخرى ان يسمح لهم بالمرور .

قال بيليني ان الالمان نفد صبرهم وطالما اننا لم نصل الى اتفاق فلندع الالمان يمروا على الاقل الى دونكو وبعد ذلك نستطيع استئناف محادثاتنا بهدوء . ولدهشة الجميع اقتنع براسو بصواب الفكرة . وقال بيليني لكيسنات تحركوا ونحيت السيارة المسلحة جانباً لفسح المجال لمرور القافلة . وكان موسوليني يجلس في شاحنة مكشوفة مرتدياً معطفاً من معاطف الجنود الالمان . كما وسمحت لسيارة مدنية واحدة بالمرور وهي تحمل لوحة اسبانية وعلماً اسبانياً يرفرف بجانبها . وفي داخلها مارسيليو بيناس كقنصل لاسبانيا مع زوجته واطفاله واخته كلاريتا .

استأنف براسو حجته تارة اخرى الا ان بيليني كان صارماً . واخيراً طلب براسو الرجوع الى كومو ليشرح لرؤسائه لماذا لم يستطيع التقدم نحو تريستا . سأله بيليني رئيسك ؟ موسوليني ؟ واين تتوقع وجوده ؟ . اجاب انا لا اقصد موسوليني بل اقصد كرازياني وانا اعرف اين اجده . وعندما رفض بيليني طلبه هذا انفجر كاساليبنوفو وابتميركر صارخين صرخ بيليني قائلاً اتركوا هذا الامر واسمعوا اذا اردتم ولكن سدوا افواهكم .

ثم رجع اثنان منهم الى السيارة المصفحة وطفقا يتكلمان مع احدهم في السيارة المصفحة اهتياجاً الى حد تذكر بيليني ما قاله القس له . أيكون موسوليني حقيقة موجوداً هناك ؟ وتقدم نحو الباب الخلفي من السيارة المدرعة وراقب الموجودين في داخل

السيارة . أراقبت جيداً ؟ سأله اتيمبركر ساخراً من تتوقع ان تجده ؟

قرر بيليني السماح لبراسو الرجوع الى كومو على انه بعد كل شيء محارب قديم اخرج بسبب العجز . وقال لبراسو ان السيارة المصفحة تستطيع ان ترجع خلال عشرين دقيقة ولكنني احذركم اذا حاولتم التقدم الى الأمام فأننا سنفتح النار . وارسل بيليني تعليماته الى رجاله على الصخرة الكبيرة بأن السيارة المصفحة ستقوم باستدارة وترجع واذا ما حاولت التقدم نحو دانكو فعليهم اطلاق النار عليها .

وفي الساعة الثالثة وخمسين دقيقة بدأت المصفحة التحرك على ساحة كبيرة في الطريق وظن الرجال من الانصار على الصخرة انها تتوجه نحو دانكو ففتحوا النار . استمرت الصليات لفترة قصيرة ثم انفجرت قنبلة يدوية تحت السيارة المصفحة بعدها رفرفت خرقة بيضاء من برج المصفحة . قفز بافالوني من المصفحة وتوجه مسرعاً نحو ساحل البحيرة يتبعه ذوو القميص الاسود والذي كان موسوليني قد اودع لديه اوراقه محتضناً الوثائق .

اما براسو فأصابته شظية قنبلة في ذراعه الايمن . اما كاسالينوفو وابتميركر فاعتقلا على قارعة الطريق .

لقد استعدت ساحة مدينة دانكو لمسرحية رومانسية كاملة . كانت تحيط بها من الجهات الثلاث ابنية العصور الوسطى وجبال الألب المكللة بالثلوج ترتفع صعداً من جهة الخلف ومن الجهة المفتوحة تقع بحيرة كومو .

كان ليزارو يفتش الشاحنات الالمانية عندما سمع صوت اطلاق الرصاص . وعلى الرغم من ان اطلاق الرصاص غمّه الا انه استمر في عمله في تفتيش الشاحنات الى ان سمع احدهم يطلبه مهتاجاً قائلا بيل وهو اسمه بين الانصار . كان المتكلم كيسيب نيكري صاحب دوكان قبقاب في المنطقة والذي كان مسجوناً لمدة ثلاثة أشهر لمعاونته الانصار . سأله لازارو حسناً ماذا تريد ؟ قال نيكري اننا القينا القبض على ابن الزنا الكبير . انك تحلم قال له لازارو كلا يا بيل انه موسوليني رأيته بعيني . اين ؟ على احدى الشاحنات وبزي الماني . كان هذا حدثاً لا يصدق الا ان نبض لازارو بدأ يسرع وقال لابد انك اخطأت . انا رأيته وشخصته في الحال واقسم انه هو موسوليني نفسه . واستمر موضحاً . بينما كان يفحص اوراق الالمان في الشاحنات اتى على رجل قرب السائق واضعاً بطانية على كتفيه . لم ار وجهه لأنه كان يرفع ياقة معطفه ويسدل خوذته الالمانية على وجهه . ذهبت اليه أسأله اوراقه ولكن الالمان في الشاحنة اوقفوني قائلين الرفيق سكران . جلست بجانبه وسحبت ياقته رأيت جانباً من وجهه الا انني شخصته حالاً . يا بيل انه موسوليني احلف انه هو . وهكذا اتيت لاخبرك .

ذهب الرجلان معاً الى الشاحنة المفتوحة الى ان توقف نيكري واشار الى جندي بياقة المانية مقلوبة وتغطي عينه خوذة المانية . صعد لازارو على الشاحنة وربت على كتفه قائلاً بالايطالية ايها الرفيق Camerata . وعندما تجاهل تحيته الفاشية ربت لازارو ثانية على كتفه وقال بصوت حديدي صاحب الفخامة Eccellewza كذلك لم يكن هناك اي رد فعل حتى قال بانفعال كافاليرو بينيتو موسوليني ! اضطرب الرجل وكان لازارو واثقاً من تشخيصه لموسوليني . تجمهر حوله الناس ثم نزع لازارو خوذته وبذلك انكشفت صلعة رأسه . كما رفع لازارو نظارته الشمسية وقلب ياقة معطفه . كان موسوليني واضعاً بندقية آلية على ركبتيه ونطحه تحت ذقنه . اخذ لازارو البندقية منه ورفعه على قدميه قائلاً هل عندك اسلحة اخرى ؟ دون ان يتفوه بكلمة فك ازرار سترته وناوله مسدساً من عيار ٩ ملم . بدأ كل يحدق بالآخر وللحظة حسّ لازارو بالضياع كان هذا هو الرجل الذي كان يوقره ويلعنه . اما موسوليني فكان وجهه جامداً وينتظر من لازارو ان يقول شيئا . لم يبد عليه الخوف انما كان منهكاً جداً وبدأ الجمهور يصرخ اهتياجاً حيث ان اربعة من الانصار قتلهم الفاشيست قبل يومين .

اراد لازارو ان يفعل شيئا للتأريخ وكل ما خطر بباله آنئذ

كان : بأسم الشعب الايطالي القي القبض عليك . وكان صوته هادئاً اما موسوليني فقال لا اريد ان افعل شيئاً . اجابه لازارو مادمت تحت حمايتي الشخصية لا اسمح لاي واحد ان يمس شعرة من رأسك . اجابه موسوليني اشكرك .

وبينما كان لازارو يحرس موسوليني وهما متوجهان الى قاعة البلدية عبر الساحة كان صخب الجمهور وهياجه في ازدياد وصراخه يتعالى . اقترب رجل طويل نحيف الجسم من موسوليني وسأله أتعرف من أنا ؟ كلا أجاب موسوليني واشاح بوجهه خجلاً انا روبيني ابن الوزير روبني الا تتذكر انك دعوتني الى روما ثلاث مرات . انا الآن محافظ دونكو . أتتذكر الآن ؟ نعم نعم اجاب موسوليني اتذكر الآن وزاد هياج الجمهور صخباً وتهديداً . لا تنزعج أكد له الدكتور روبني لن يصيبك اي اذى هنا . انا متأكد من ذلك كان جواب موسوليني (وهو غير مطمئن) ان شعب دونكو كرماء . وعندما دخلوا قاعة البلدية سأله لازارو أين ولدك فيتوريو ؟ اجاب لا اعرف . والمارشال غرازياني ؟ لا اعرف واعتقد انه في كومو ثم صحبه لازارو مخفوراً الى غرفة تشرف على الساحة مؤثثة بصورة بسيطة تتبعها مجموعة ثائرة من ابناء المدينة . نزع موسوليني معطفه وقعد على دكة سأله لازارو هل تطلب شيئاً ؟ شكراً قدحاً من الماء . لماذا كنت في الشاحنة الالمانية بينما وزراءك كانوا في السيارة المصفحة . لا ادري هم وضعوني هناك من المحتمل انهم خانوني في اللحظة الاخيرة .

طلب لازارو ان تخلى الغرفة والا يزعج السجين احد . كما وطلب من حارس ان يحميه وان يستعمل السلاح ان لزم الامر . انفتح الباب فجأة ودفع رجلان من الانصار براسو واتيمبركر الى داخل الغرفة . وبعد ان رأيا موسوليني تنبها وقالا فليعش الدوتش . اومأ موسوليني برأسه ذاهلاً .

تجمهر مجموعة من الناس على الباب يرومون الدخول الا ان لازارو امر بتخليتهم وابعادهم وقال لاحد الانصار عليه ان يؤخر اخبار بيليني القاء القبض على موسوليني ثم قفل راجعاً الى القافلة الالمانية . اذ قال له احد الانصار هناك قنصل اسباني يريد ان يغادر فوراً . هل دققتم اوراقه ؟ نعم ويظهر انها صحيحة يقول عليه ان يذهب الى سويسرا بسرعة لمهمة عاجلة هل اسمح له بالمرور ؟ كان جواب لازارو انتظر دقيقة سآتي بنفسي . وسار نحو السيارة الصفراء . كان السائق بديناً مرتب الشعر ووحمة على ذقنه القصير وتجلس بجانبه امرأة شابةوجميلة وتنظر الى لازارو بعصبية . وفي المقعد الخلفي تجلس امرأة اخرى تغطي نصف وجهها بباقة فروها وبصحبتها طفلان .

سأله لازارو هل انت القنصل الاسباني ؟ نعم قال مارسيلو بيتاسي مع اظهار استنكاره ثم اضاف وانا على عجلة من امري . لهجته الايطالية السليمة ارقعت لازارو في دوامة من الشك وقال له هل استطيع ان ارى اوراقك من فضلك ؟ وبعد لأي قدم له بيتاسي ثلاثة جوازات سفر اسبانية مختومة بختم القنصلية في ميلانو وبعد تدقيقها وجد ان الختم على احدى الصور غير موقع وهكذا قال ان جوازات السفر مزورة وانتم موقوفون . ماذا تعني ؟ انفجر بيتاسي قائلاً ستدفع ثمن تصرفك هذا ان لي موعداً في الساعة السابعة مع احد الانكليز المعروفين في سويسرا . لم اسمع بمثل هذه الصفاقة من قبل . وضع لازارو الجوازات في جيبه وأمر بيتاس المحتج ان يسوق السيارة الى قاعة البلدية . ثم ذهب يبحث عن بيليني . لقيه على قارعة الطريق واعلمه بنبأ اعتقاله موسوليني في دانكو ثم ذهبا لمقابلته والذي كان لا يزال يجلس على دكة ويحدق في الفضاء . وجده بليني متقدماً في العمر وعاجزاً بسبب شيخوخته . اعلمه بيليني انه قائد المنطقة وانه يعده بعدم حصول اي اذى له . نظر الدوتش الى الشاب متفحصاً ثم مرمر قائلاً اشكرك .

ثم التفت بيليني الى براسو الذي عولجت يده من قبل الصيدلي المحلي قائلاً لماذا حاولتم التحرك الى الأمام ؟ ولماذا اطلقتم النار ؟ ولمَ لم تحافظوا على كلمتكم ؟

(١) ان هذا المقال مترجم من كتاب (المئة يوم الاخيرة) لجون تولاند JOH N. TOLAND. THE LAST (100) DAYES